كتابات
قلم الحوزة العلمية الشريفة
Katabat.org
مدونة تعنى بنشر الكتابات التخصصية لبراعة الحوزة العلمية الشريفة

رِسَالَةٌ فِي شَرْحِ حَدِيثِ

(مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ)

الشيخ حسين بن يوسف طارش

مدوّنة تُعنى بنشر الكتابات التخصّصية لبراعة الحوزة العلميّة الشريفة

كتابات
قلم الحوزة العلمية الشريفة
Katabat.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالوحدانية، المعتزُّ بالربوبية، ثم الصلاة وأتم التسليم على رحمة إله السماوات والأرضين، هادي الخلائق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله الطاهرين صلاةً دائمة بدوام ملك رب العالمين، واللعن الدائم إلى قيام يوم الدين على أعدائهم أجمعين.

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن إبراهيم الكرخي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه)، ومن هنا كانت لي وقفة مع رواية سيدنا وشفيعنا محمد بن علي الجواد (عليهما السلام)، أسعى من خلالها أن أنال شيئًا من هدي كلامهم عليهم السلام، بما يوفقني الله إليه، وقد رتبت الكلام على عدّة نقاط:

- صحة الرواية
- معنى الإصغاء
- المراد من الإصغاء في الرواية
- معنى كون الإصغاء عبادة
- دلالة الرواية
- تبويب الرواية

وأسأل الله القدير أن يتقبل هذا اليسير بلطفه وكرمه إنه العزيز الكريم.

حسين يوسف طارش

روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني عن الحسين بن محمد، عن مُعلَّى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأرمنيِّ، عن الحسن بن علي بن يقطين عن أبي جعفر عليه السلام قال: **((مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَقَدْ عَبَدَ اللهَ، وَإِنْ كَانَ النَاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ)).**[1]

- **صحة الرواية**

يقع الكلام في مقامين:

المقام الأول في سند الرواية:

- **الحسين بن محمد:**

شيخ الكليني، "وهو الحسين بن محمد بن عامر بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمي الثقة بالاتفاق. وروى جعفر بن محمد بن قولويه عنه كثيرا".[2]

- **معلى بن محمد:**

معلى بن محمد البصري، قال فيه النجاشي: "مضطرب الحديث والمذهب، وكتبه قريبة"[3]، وقال ابن الغضائري: "معلى بن محمد البصري، أبو محمد، يعرف حديثه وينكر، ويروي عن الضعفاء، ويجوز أن يخرج شاهدًا". روى في كامل الزيارات، وروى في تفسير القمي.

---

[1] الكافي ج٦.
[2] مستدرك علم الرجال ج٢.
[3] رجال النجاشي.

قال السيد الخوئي: "الظاهر أن الرجل ثقة يعتمد على رواياته. وأما قول النجاشي من اضطرابه في الحديث والمذهب فلا يكون مانعا عن وثاقته، أما اضطرابه في المذهب فلم يثبت كما ذكره بعضهم، وعلى تقدير الثبوت فهو لا ينافي الوثاقة، وأما اضطرابه في الحديث فمعناه أنه قد يروي ما يعرف، وقد يروي ما ينكر، وهذا أيضا لا ينافي الوثاقة. ويؤكد ذلك قول النجاشي: وكتبه قريبة.

وأما روايته عن الضعفاء على ما ذكره ابن الغضائري، فهي على تقدير ثبوتها لا تضر بالعمل بما يرويه عن الثقات، فالظاهر أن الرجل معتمد عليه، والله العالم".

- **أحمد بن محمد بن إبراهيم الأرمني:**

لم يذكروه.[1]

- **الحسن بن علي بن يقطين:**

قال النجاشي: "الحسن بن علي بن يقطين بن موسى مولى بني هاشم - وقيل مولى بني أسد - كان فقيهًا متكلمًا"، وقال العلامة في خلاصة الأقوال: "الحسن بن علي بن يقطين بن موسى، مولى بني هاشم، وقيل مولى بني أسد، كان ثقة فقيها متكلما، روى عن أبي الحسن موسى والرضا (عليهما السلام)".

عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)، وعدّه البرقي من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام)، وبهذا يظهر أن المقصود من أبي جعفر (عليه السلام) الإمام الجواد (عليه السلام)، وقد ذكر ذلك السيد الخوئي (قده) في معجمه حيث قال:" وقع بعنوان الحسن بن علي

[1] مستدركات علم رجال الحديث ج١.

بن يقطين في إسناد عدة من الروايات تبلغ مائة وواحدا وثلاثين موردًا. فقد روى عن أبي جعفر (الثاني) عليه السلام"

فسند الرواية مبتلى بجهالة أحمد بن محمد الأرمني.

المقام الثاني في متن الرواية:

احتفت عدّة قرائن بمتن الرواية تفيد الظن بصدورها، وهي:

١) وجود روايات أخرى بنفس اللفظ:

وردت ألفاظ هذه الرواية مع اختلاف يسير بطريق مختلف، ذكرها الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا) عن أبيه، عن الحسين بن أحمد المالكي، عن أبيه، عن إبراهيم بن أبي محمود، عن الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث طويل قال: ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس)).[١]

وروى الشيخ الصدوق في كتاب (الاعتقادات) مرسلًا عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس))[٢].

---

[١] عيون أخبار الرضا ج٢.
[٢] الاعتقادات في دين الإمامية.

وروى ابن الشعبة الحراني في تحف العقول مرسلًا عن الإمام الجواد (عليه السلام): ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبده))[1].

نرى أن الإمام القائل للحديث يختلف، ففي الرواية التي صدّرنا بها الكلام قائلها الإمام الجواد (عليه السلام)، وكذلك ما رواه ابن شعبة في التحف، والتي أوردها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا، قائلها الإمام الرضا (عليه السلام)، وأما التي في كتاب الاعتقادات فعن الإمام الصادق (عليه السلام).

٢) تَكَرُّر ألفاظ الرواية في أكثر من كتاب:

تكرر ألفاظ الرواية في كتاب الصدوق وابن شعبة الحراني والكليني كذلك، يستكشف منه على أقل تقدير احتمالهم لصدور الرواية فضلًا عن توثيقها مضمونًا كما سيأتي، وقد ظهر في اعتمادهم إيَّاها بالرغم من اختلاف عصورهم.

٣) وجود روايات توافق مضمون الرواية:

أورد الحر العاملي في الباب العاشر من كتاب صفات القاضي، عدة روايات توافق في المضمون مضمون هذه الرواية، ومن هذه الروايات:

- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}، فقال (ع): أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو

[1] تحف العقول.

دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حرامًا، وحرّموا عليهم حلالًا فعبدوهم من حيث لا يشعرون.[1]

- عن ضريس، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}؟ قال (ع): شرك طاعة وليس شرك عبادة، وعن قوله عزّ وجلّ: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ}؟ قال (ع): إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون في أتباعه. قال: قلت: كل من نصب دونكم شيئًا فهو ممن يعبد الله على حرف؟ فقال (ع): نعم، وقد يكون محضًا.[2]
- عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من أطاع رجلًا في معصية فقد عبده.[3]

وغيرها من الروايات المذكورة في هذا الباب.

وعليه فإن أدنى ما تحققه هذه القرائن صحة مضمون الرواية، وإن كان هذا المقدار من القرائن وغيرها من التي يمكن تحصيلها حول هذه الرواية، يفيد لنا الوثوق النوعي بصدور الرواية، جاز الحكم بصدورها بناءً على مبنى الوثوق، أما على المبنى القائل بموضوعية الوثاقة في الرواية، فلا تكون هذه الرواية معتبرةً عنده، إلا إذا تحصَّل دليل خاص عليها، كاستفاضتها عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لفظًا ومضمونًا.

---

[1] الكافي ج١.
[2] الكافي ج٢.
[3] الكافي ج٢.

وقد خَلُصَ سماحة سيدنا الأستاذ محمد علي العلوي (حفظه الله) في بحثه الموسوم بـ(الحبور)[1]، إلى القطع بالصدور، أو لا أقل اعتبار أحاديث الكتب الأربعة والأصول الحديثية المتقدمة، وهو مسلك مثل شيخ الحدائق وصاحب المستدرك وغيرهما.

- **معنى الإصغاء**

قال في مقاييس اللغة: "الصاد والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على المَيْل، من ذلك قولُهم :صِغْو فلانٍ معك، أي ميلُه. وصَغتِ النجوم: مالت للغُيوب"[2]. وجاء في لسان العرب: "صَغا إليه يَصْغى ويَصْغُو صَغْوًّا وصَغًا: مال ... وقال ابن السكيت: صَغِيتُ إلى الشيء أصْغى صُغِيًّا إذا ملت"[3].

ومن الشواهد على هذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ **وَلِتَصْغَىٰ** إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ}[4].

وقوله عزّ وجلّ: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ **صَغَتْ** قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ}[5].

---

[1] تحصيل الرشاد وتحصين العباد، رسائل في البناء الفكري.
[2] معجم مقاييس اللغة ج٣.
[3] لسان العرب ج١٤.
[4] سورة الأنعام ١١٢,١١٣.
[5] سورة التحريم ٤؟

ومن هذا المعنى ما ورد في الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين (عليه السلام): (**فَصَغَى** رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَهَنٍ)[1].

وكذلك في وصيته لمالك الأشتر: (إنما عمود الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء أهل العامة من الأمة فليكن لهم **صغوك**)[2].

وكثيرًا ما يستعمل الإصغاء ويراد منه الاستماع، والوجه في ذلك أن المستمع يميل بسمعه نحو المسموع، فهو مصغٍ بسمعه، ومن أمثلة استعمال الإصغاء بمعنى الاستماع، ما ورد في خبر عبد الرحمن بن الحجاج قال: (كنت قائمًا أصلي وأبو الحسن (عليه السلام) قاعد قُدّامي، وأنا لا أعلم فجاءه عبّاد البصري فسلم ثم جلس فقال له يا أبا الحسن ما تقول في رجل تمتع ولم يكن له هدي قال (ع): يصوم الأيام التي قال الله تعالى، قال عبد الرحمن: فجعلت **أصغي** إليهما ...إلخ)[3].

والنسبة بين معنى الإصغاء والاستماع هي العموم والخصوص المطلق، فالاستماع هو إمالة السمع نحو المسموع، في رسالة الحقوق لمولانا زين العابدين (عليه السلام): (وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغى إليه بسمعك)[4]، فكل استماع إصغاء؛ لأنه يكون بإمالة السمع، وهنا يظهر الفرق بين السمع والاستماع، إذ الأول مجرد طروا الصوت على السمع، من دون طلب ذلك والتوجه إليه، بخلاف الاستماع.

---

[1] نهج البلاغة.
[2] تحف العقول.
[3] تهذيب الأحكام ج٥.
[4] الخصال.

ويفترق الإصغاء عن الاستماع في كل ميلان في غير السمع، كميل القلب نحو شخصٍ ما، وكميل الشمس للغروب، وميل النظر إلى فعل، وما شاكل ذلك.

- **ما المراد من الإصغاء في الرواية؟**

هل الإصغاء الذي وُصف بالعبادة في الرواية هو الميل أو الاستماع؟

منشأ هذا السؤال هو كثرة استعمال الإصغاء بمعنى الاستماع، كما مر في رواية عبد الرحمن، فهذه الكثرة تورث التردد بأن المراد من الإصغاء هنا الاستماع أو أن المراد هو الميل؟ لكن لا مطلق الميل الذي يندرج تحته الاستماع وغيره، بل الميل القلبي الذي ذكره الله تعالى في الآيتين المتقدمتين، إذ هو المنصرف من قولك لشخص (لا تمل نحو فلان) فما يُفهم منه النهي عن الميل القلبي والنفسي الذي ينشأ منه الإذعان والمتابعة وما شاكل ذلك، لا مجرد الميل وحسب.

ويمكن الإجابة عن السؤال بالتمسك بالأصل اللفظي، بإرادة المعنى الموضوع له، حيث إن لفظ الإصغاء وضع لمجرد الميل، دون أمرٍ زائد، وهذا هو الأصل في معناه، فإذا احتمل معنى زائد لابد له من قرينة على ذلك.

ولكنَّ التمسك بالأصل اللفظي، يكون بعد فقد المرجحات والقرائن على إرادة أحد المعنيين، والوقوع في حالة الشك، ولكننا في محل السؤال توجد لدينا القرينة في الرواية، حيث عبر الإمام بـ(مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ)، فكلمة الناطق تدلنا على أن المراد من الإصغاء هو الاستماع، لأن الناطق من شأنه أن يستمع إليه، وهو يناسب معنى الاستماع، وإلا لعبر الإمام بـ(من أصغى إلى شيء) فلا يختص بجارحة الأذن فقط.

لكن ينبغي التنبيه إلى أن المراد ليس مجرد الاستماع فقط، وإلا فإن المخالفين لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) من الذين كانوا يحضرون عندهم ويستمعون لكلامهم (عليهم السلام) يكونون يعبدون الله باستماعهم لقول أهل البيت (عليهم السلام)، مع كونهم مخالفين لما يستمعون له من أهل البيت، إذ لا ريب أن كلام أهل البيت (عليهم السلام) عن الله تعالى، وأن المخالفين والمعاندين لهم يستمعون له، وهذا لا يناسب شأنهم وحالهم.

بل المراد هو استماعٌ خاص، وهو الذي يتبعه التقليد والطاعة للمُستمعِ له، وسيتضح هذا الأمر في النقطة الآتية.

- **معنى كون الإصغاء عبادة**

معنى العبادة:

للوقوف على المراد من حمل العبادة على الإصغاء، لابد لنا من بيان معنى العبادة، بما يناسب المقام.

قال في لسان العرب: (وقال: ومعنى العبادةِ في اللغة الطاعةُ مع الخُضُوعِ، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مذللاً بكثرة الوطءِ)[1]، وقال في الصحاح: (العبادة: الطَّاعَة)[2]، وفي مجمع البحرين: (والعبادة بحسب الاصطلاح هي المواظبة على فعل المأمور به)[3]، إذن فالعبادة بحسب كلمات أهل اللغة هي الطاعة للمعبود على وجه مخصوص وهو الخضوع.

---

[1] لسان العرب ج٣.
[2] الصحاح ج٢.
[3] مجمع البحرين ج٣.

وورد في كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق بإسناده عن خثيمة الجعفي قال: سأل عيسى بن عبد الله القمي أبا عبد الله (عليه السلام) وأنا حاضر فقال: ما العبادة؟ قال (ع): (حُسْنُ النية بالطاعة، من الوجه الذي يطاع الله منه)

فالرواية بيَّنت أن العبادة تكون أولًا: بحسن النية، وثانيًا: بالطاعة، وثالثًا: من الوجه الذي يطاع الله منه، أي بما شرَّعه الله وأراده، وهذه هي قِوام العبادة، فلو أن الرجل أحسن نيته بمعنى أنه أراد الطاعة لله وأحبها، ولكنه لم يطع الله ولم يأتِ بما أمره الله به، فلا يكون عابدًا، وكذا لو أتى بالطاعات من الصلاة والصيام، ولكنه لم يحسن نيته، بأن نوى الرياء مثلًا، فإنه لا يكون عابدًا، وكذلك لو حسنت نيته وأتى بالطاعات ولكن لا على وجهها فإنه لا يكون من جملة العابدين.

وحال هذا الأخير الذي يريد أن يعبد الله لا من حيث يريد الله، بل من حيث هو يريد، حال الذي ورد في رواية إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (عبدَ الله حبر من أحبار بني إسرائيل حتى صار مثل الخلال[1] فأوحى الله عز وجل إلى نبي زمانه قل له وعزتي وجلالي وجبروتي لو أنك عبدتني حتى تذوب كما تذوب الألية في القدر ما قبلت منك حتى تأتيني من الباب الذي أمرتك).[2]

[1] الخِلال: العود الذي يُتَخَلَّل به، وما خُلَّ به الثوب أَيضاً، والجمع الأَخِلَّة. [لسان العرب ج١١]
[2] عقاب الأعمال.

فلا يصح التقرب إلى الله بما لم يرد فيه دليل على كونه مقربًا له سبحانه وتعالى، فيلزمنا التعبد بما ورد على نحو ما ورد، فلا نزيد في الدعاء مثلًا، ولا نقصِّر فيما ورد التحديد فيه، وإلى غير ذلك من الأمور.

وعلى كل حال فإن العبادة لغةً وشرعًا متقاربتان معنىً، ويمكن تعريفها بـ: (الطاعة للمعبود مع الخضوع وحسن النية من الوجه الذي يطاع منه).

وجه حمل العبادة على الإصغاء:

بما تقدم من معنى العبادة، يظهر لنا أن المراد من الإصغاء في الرواية هو الطاعة؛ للمناسبة بين الموضوع والمحمول بهذا المعنى، وإنما جيء بلفظ الإصغاء كناية عن معنى الطاعة، حيث إن المطيع لابد له أن يكون مصغٍ للمطاع، فيكون المعنى (من أطاع ناطقًا فقد عبده).

وما يساعد على هذا المعنى عدَّة روايات، منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}[1]، حيث ورد في تفسيرها فيما رواه في المحاسن بإسناده عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (والله ما صلّوا ولا صاموا ولكن أطاعوهم في معصية الله)[2]. وفي الكافي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}، فقال (ع): (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حرامًا، وحرّموا عليهم حلالًا فعبدوهم من حيث لا يشعرون)[3].

---

[1] التوبة ٣١.
[2] المحاسن ج١.
[3] الكافي ج٢.

فإذن يمكننا القول، بأن دلالة لفظ العبادة في الرواية هو على نحو الدلالة التضمنيّة، إذ ليس المراد هو تمام معنى العبادة، كما قال في رواية الإمام الصادق (عليه السلام): (ولو دعوهم ما أجابوهم)، بل المراد هو جزء المعنى وهو الطاعة والخضوع لما يقولون، وهذا هو المصحح لحمل العبادة على معنى الطاعة.

ومنها ما رواه ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من أطاع رجلًا في معصية فقد عبده)[١].

وعليه بما أن الطاعة عبادة بحسب الرواية، تكون إطاعة الشيطان شركٌ بالله تعالى، لكن لا شرك العبادة بالمعنى المطابقي الذي يترتب عليه أحكام الردة، بل شرك الطاعة، كما مر من إرادة المعنى التضمني للعبادة، وهو ما ورد في رواية ضريس بن عبد الملك عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}[٢] قال (ع): (شرك طاعة وليس شرك عبادة ...)[٣].

وقد يقال بإمكان التفصيل في المقام بين العاصي لله غير المُصر، والعاصي المُصر على معصيته، فإن الأول إنما عصى الله لا عن تكبرٍ وعناد، بل عن غلبة شهوةٍ وضعف إيمان، ما دفعه نحو ارتكاب المعصية، فهو يندم عليها من حينها ويتوب إلى الله تعالى ولا يصرُّ على ما فعل، أما

---

[١] الكافي ج٢.
[٢] يوسف ١٠٦.
[٣] الكافي ج٢.

الثاني فإنه تمادى في فعل المعاصي ومخالفة أوامر الله تعالى عن إصرارٍ وعناد، حتى اسود قلبه من الضلال.

ومعنى العبادة يتناسب حمله على هذا الثاني، فإنه بمعصيته ومخالفة أوامر الله تعالى مع القصد والإصرار، يكون طائعًا لما أمر به الشيطان، مذللًا نفسه لما يرتضيه ويسخط الرحمن، فيكون عابدًا للشيطان.

غير أن ما يُبعِّد هذا الكلام إطلاق ما تقدم من الإخبار، وما رواه صاحب الوسائل عن نوادر أحمد بن محمد بن عيسى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قد قال القائل بعض الذنب أهون من بعض، والذنوب كلها عظيم عند الله لأنها معاصي وأن الله لا يحب من العباد العصيان، وقد نهانا الله عن ذلك لأنها عن عمل الشيطان، وقد قال : {لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ})[1]، فنرى أن الإمام (عليه السلام) حمل قوله تعالى: {لا تعبدوا الشيطان} على جميع المعاصي دون استثناء.

- **دلالة الرواية**

إن الدلالة المطابقية للرواية إخبارٌ عن أن المطيع عابدٌ للذي يطيعه، أما الدلالة الإلتزامية للرواية فهي إنشاء للنهي والأمر، فالأول هو النهي عن إطاعة ما يؤدّى عن الشيطان، والثاني الأمر بإطاعة ما يؤدّى عن الله تعالى.

[1] وسائل الشيعة ج٢٨.

أما الأول فللنهي عن الشرك بالله تعالى، قال عزّ وجلّ في القرآن الكريم: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}[1]، وهذا الأمر أجلى وأوضح من أن يُبيَّن.

وحيث إن إطاعة الشيطان عبادة، فيندرج تحت ذلك النهي، وإذا أردنا أن نصيغه على شكل قياس نقول: إطاعة الشيطان عبادة، وكل عبادة مع الله شرك، فكل إطاعة للشيطان شرك بالله تعالى.

وكل شرك بالله منهي عنه، وكل إطاعة للشيطان شرك، فكل إطاعة للشيطان منهي عنها.

وحيث إن مقتضى النهي ترك جميع أفراد الطبيعة - فكل فردٍ من أفراد الطبيعة المنهي عنها يتوجه إليه نهيٌ استقلالي - فلا بد من ترك جميع أفراد الشرك، الطولية منها والعرضية، وفي ذلك عدة روايات منها:

- عن مالك بن عطية، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} قال (ع): هو قول الرجل لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكًا في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال: فيقول لولا أن الله منَّ عليَّ بفلان لهلكت؟ قال (ع): نعم لا بأس بهذا[2].
- عن عبد الحميد بن أبي العلا قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل، وقال: منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه هذا[3].

---

[1] النساء ٣٦.
[2] تفسير العياشي ج٢.
[3] معاني الأخبار.

- عن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ}، قال (ع): شرك طاعة وليس شرك عبادة، والمعاصي التي يرتبكون فهي شرك طاعة، أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة، أن يعبدوا غير الله[1].

وغيرها من الروايات في هذا الجانب التي يرجع إليها في محلها.

أما الثاني فللأمر بعبادته عزّ ذكره، قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}[2]، فإطاعة ما يؤدّى عن الله عبادة لله، والعبادة لله مأمورٌ بها، فالإطاعة لما يؤدّى عن الله مأمورٌ به.

واعلم أن الأمور إما أن تكون من الله أو من الشيطان على نحو القضية الشرطية المنفصلة الحقيقية، وبعبارة أخرى أن الأشياء هي إما حق وإما باطل، وهذان الأمران لا يجتمعان معًا فيكون نفس الشيء حقًا وباطلًا في آنٍ واحد، ولا يمكن أن لا يكون أحدهما كذلك، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: (حقٌ وباطلٌ ولكل أهل)[3] قال الشيخ المجلسي (رحمه الله) في شرح هذا المقطع:" معناه كل أمرٍ إما حق وإما باطل، ولكل واحد من هذين أهل"[4].

وفي الرواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا أيها الناس إنما هما نجدان، نجد خير، ونجد شر، فلا يكن الشر أحب إليكم من نجد الخير)[5].

---

[1] تفسير القمي ج١.
[2] النساء ٣٦.
[3] الكافي ج٨.
[4] بحار الأنوار ج٣٢.
[5] تحف العقول.

وقد وردت الآيات في هذا المعنى كقوله تعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[1] فعن الصادق (عليه السلام): (نجد الخير ونجد الشر)[2]، وقوله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[3].

وعلى هذا، فإن من لا يطيع الشيطان يكون ضرورةً مطيعًا لله تعالى، لعدم وجود قسم ثالث لهما، فحتى الأمور المباحة تندرج تحت ما يؤدّى عن الله، لكونها مما أباحه الله تعالى لعباده فهي تشريع من قِبله عزّ وجلّ، ولكن على الإنسان أن يراقب نفسه كي لا تقع في الخطل والزلل، ومما أملاه الشيخ الطوسي بإسناده عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله حلاله وحرامه، والمشتبهات بين ذلك، كما لو أن راعيًا رعى جنب الحمى لم يثبت غنمه أن تقع في وسطه، فدعوا المشتبهات)[4].

- **تبويب الرواية:**

أدرج الشيخ الكليني هذه الرواية في (باب الغناء)، وتبعه على ذلك الشيخ الحر العاملي حيث وضعها تحت عنوان (تحريم سماع الغناء والملاهي)، وكذا الفيض الكاشاني في كتابه الوافي إذ أدرجها تحت عنوان (كسب المغنية وما جاء في الغناء).

---

[1] البلد ١٠.
[2] الاعتقادات في دين الإمامية.
[3] الإنسان ٤.
[4] أمالي الطوسي.

غير أن الشيخ الحر العاملي قد جعل هذه الرواية أيضًا تحت عنوان (عدم جواز تقليد غير المعصوم عليه السلام فيما يقول برأيه، وفيما لا يعمل فيه بنص عنهم عليهم السلام)، وكذا جعلها الفيض الكاشاني تحت عنوان (وجوه الشرك).

وجَعْلُ الشيخ الكليني هذه الرواية تحت باب الغناء، يحتمل أن يكون لحمله لفظ الإصغاء في الرواية على نفس الاستماع، لا كناية عن الطاعة والاتباع كما تقدم في الكلام، وحيث أن الغناء من الشيطان، يكون الاستماع له عبادة.

وإن كانت النتيجة واحدة على كلا الاحتمالين في مورد الغناء، وهي النهي عن استماعه، إلا أنه على القول بأن الإصغاء كناية عن الطاعة، يكون مورد الغناء من مصاديق النهي عن طاعة غير الله، أما على الآخر فيكون مورد الغناء من مصاديق النهي عن الاستماع إلى ما يؤدّى عن الشيطان، والفرق بينهما بيّن.

أما عنونة الشيخ الحر العاملي الرواية بعنواني تحريم سماع الغناء وعدم جواز تقليد غير المعصوم عليه السلام ففيه احتمالان، الأول حمل الإصغاء على الطاعة، فيكون المعنى النهي عن طاعة غير الله، وجعلها في باب تحريم استماع الغناء لأنه من موارد طاعة الشيطان، وتبعًا للشيخ الكليني في ذلك، أما الاحتمال الثاني فهو حمل الإصغاء على معنى الاستماع فيكون المعنى النهي عن استماع ما يؤدى عن الشيطان، وحمل الإصغاء كذلك على معنى الطاعة ، وذلك من باب انصراف كلامهم على اكثر من وجه، وهو ما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بإسناده عن محمد بن أبي عمير، عن إبراهيم الكرخي ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: (حديث تدريه

خير من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجها لنا من جميعها المخرج).[1]

وهذا الأخير احتمال قريب للشيخ الحر العاملي، ولنفس الرواية.

تم الكلام ولله الحمد في الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام لعام أربعمائة وواحد وأربعون بعد الألف للهجرة المباركة.

[1] معاني الأخبار.